الأشباهُ والنَّظائرُ القرآنيَّة عندَ أهلِ البيتِ عليهم السلام

د. عثمان عبد الله محمود

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو نيجيريا

الملخَّص:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرف الأنبياءِ والمرسلين، نبيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ المنتجبينَ، نحمدك يا من تنزَّه في كماله عن الأشباهِ والنَّظائر، وتقدَّسَ في جلالِهِ عن أن تدركهُ الأبصار، أو تُحيطَ به الأفكار، أو تعزُبَ عنهُ الضَّمائر، وبعد..

الهدفُ الأساس من هذهِ الدِّراسةِ هو الوقوفُ على مفهوم الأشباه والنَّظائر لغةً واصطلاحًا، وعلاقةُ الأشباه والنَّظائر بالتَّفسيرِ اللُّغويّ، ثمَّ تحليلُ هذه الوجوه، ثمَّ الوقوفُ على المفردات القرآنيَّة التي تمسُّ جوانب الأشباه والنَّظائر وخاصَّةً عند أهلِ البيتِ عليهم السلام، أمثال: الحسنى، اللَّبس، الطاغوت، الحرج، الفتنة، العبادة... وغيرها كثير، ثمَّ عرضُ هذه المفردات على الكتبِ اللّغويَّة وفهم مدلالوتها عندهم ملتفتاً إلى مفهومها عند أهل البيت عليهم السلام، ويسلك الباحث المنهج الوصفي في معالجة هذه القضايا متبعاً هذه المفردات وبسطها عند كتب أهل البيت. والله الموفق إلى سواء السبيل.

الكلمات المفتاحية:

الأشباه، النظائر، أهل البيت عليهم السلام

Quranic Similarities and Parallels According to Ahl al-Bayt (peace be upon them)

Dr. Othman Abdullah Mahmoud

Department of Arabic Language, Bayero University, Kano, Nigeria

Abstract:

All praise is due to Allah, Lord of the Worlds. Blessings and peace be upon the most honored of prophets and messengers, our Prophet Muhammad, and upon his chosen family and companions. We praise You, O Lord, who is exalted in perfection beyond any similarity or parallel and sanctified in majesty beyond the grasp of vision, thoughts, or innermost intentions.

The primary objective of this study is to examine the concept of "similarities and parallels" (Ashbāh wa Nazā'ir) linguistically and terminologically, and to explore its relationship with linguistic exegesis. The research also analyzes these semantic variations and focuses on Quranic vocabulary related to similarities and parallels, particularly as understood by Ahl al-Bayt (peace be upon them). Examples of such terms include:

- Al-Husna (the best/good)
- Al-Labs (confusion/ambiguity)
- Al-Taghut (tyranny/oppressor)
- Al-Haraj (hardship/difficulty)
- Al-Fitnah (trial/temptation)

• Al-'Ibadah (worship)**

The study then compares these Quranic terms with their definitions in linguistic sources, analyzing their meanings in the context of Ahl al-Bayt's interpretations. The research employs a descriptive methodology to address these issues, systematically examining these terms as they appear in the literature of Ahl al-Bayt (peace be upon them).

May Allah guide us to the straight path.

Keywords:

Similarities, Parallels, Ahl al-Bayt (peace be upon them).

مقدَّمة:

الحمد لله الذي جلَّ عن الأشباه والنظائر، ودلَّ على طرق الهدى بالأقوال الصَّحيحة والوجوه والنَّظائر، وحلّ لنا بالنظر في آثار سلفنا عند المشكلاتِ، وفي الذاهبين الأوَّلين من القرونِ لنا بصائر؛ أحمده على نِعَم لو رام اللسانُ حصرها لوقعَ في حصرٍ وَعَيٍّ.

وأستغفره لذنوب ما عداني عددها في الخائفين إلَّا وحشرني في زمرة الراجين رحمته التي وسعت كلَّ شيء، وأستهديه بهداه الذي لا يضلُّ من أنعم به عليه ولا يستهديه شيطانه، وأشهد أنّ سيدنا محمدًا المصطفى خير نبيٍّ أرسله، وأفضل مخلوق منحه الفضل مجمله ومفصَّله، وأنقذنا به من الهلكة والبأس، وجعلنا به من خير أمَّة أُخرجت للناس (صلى الله عليه وعلى آله) ما تردَّدت الأنفاس، وبعد:

فإنَّه يُستحسن أن يقفَ الباحثُ على ثلاثةِ محاور؛ الأوَّلُ: مفهوم الأشباه والنَّظائر لغةً واصطلاحًا، والمحور الثَّاني: علاقةُ الأشباهِ والنَّظائرِ بالتفسير اللَّغوي، والمحورُ الثّالث: الأشباهُ والنَّظائر القرآنيَّة عند أهل البيت عليهم السلام.

المحور الأوّل: مفهوم الأشباه والنظائر في اللَّغةِ والاصطلاح

الأشباه والنظائر في اللّغة:

قال ابن منظور: «شبه: الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبيهُ: المِثْلُ، والجمع أشباهٌ. وأشبه الشيء: ماثله. وفي المَثَل: من أشبه أباه فما ظلم»[1].

كما ورد في المعجم الوجيز: «أشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله، شابهه: أشبهه»[2].

وقال الزبيدي في شرحه: «النظير- كأمير- والمُناظر: المَثيل والشّبيه في كلِّ

(١) لسان العرب: مادة: (شبه).

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مادة (شبه).

شيء، يُقال: فلانٌ نظيرُك؛ أي مثيلك؛ لأنَّه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواءً... والنظائر: الأفاضلُ والأماثلُ؛ لاشتباه بعضهم ببعضٍ في الأخلاق والأفعال والأقوال»[١].

ومن هنا يظهر جليًّا أنّ لفظَي (الأشباه والنَّظائر) يأتيان في اللغة بمعنًى واحدٍ، ويكون معنى الأشباه هو معنى النظائر.

وينبغي التَّنويه إلى أنَّ اللّغويِّين لم يخصِّصوا لعلم الأشباه والنّظائر كتاباً خاصًّا فيه، إلَّا ما وُجد عند ابن قتيبة؛ إذ خصَّص لهذا العلم مبحثًا سمَّاه بـ «اللفظ الواحد للمعاني المختلفة»[٢] وذلك في كتابه: «تأويل مشكل القرآن» ومن الأمثلة الّتي أوردها قوله: «الحَرَجُ: أصله الضِّيق، ومن الضِّيق: الشَّكُّ؛ كقولِ الباري جلّ وعلا: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾[٣]؛ أي: شكٌّ؛ لأنَّ الشاكَّ في الشيء يضيق صدراً به.

منَ الحرج: الإثمُ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾[٤]؛ أي: إثم، وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾[٥]؛ أي: إثم.

وأمّا الضيق بعينه، فقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٦]، أي: ضيق، وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٧]، و (حرِجاً)[٨]، ومنه

(١) تاج العروس: مادة (نظر).
(٢) تأويل مشكل القرآن: ١٤٤، ٥١٥.
(٣) سورة الأعراف: ٢.
(٤) سورة النور: ٦١.
(٥) سورة التوبة: ٩١.
(٦) سورة الحج: ٧٨.
(٧) سورة الأنعام: ١٢٥.
(٨) قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتح الراء، ينظر: القراءات وعلل النحويين فيها: ١/ ٢٠١.

الحَرَجَة، وهي: الشَّجرُ المُلتفُّ»[١].

هكذا نجد عند المبرّد (ت: ٢٨٥) في كتابه: ما اتفق لفظُه واختلف معناه في القرآن المجيد، مع صِغر حجم هذا الكتاب؛ إلَّا أنَّهُ لم يكن خالصًا لموضوعِ الأشباه والنَّظائر، بل شمل موضوعاتٍ أُخر، ثمّ برز في أمثلة كثيرة عندَ ابنِ عُزَيزٍ السِّجستاني (ت:٣٣٠)، ثم كتب فيه ابنُ فارس (ت: ٣٩٥) كتاباً أسماه: الأفراد[٢].

الأشباهُ والنَّظائرُ في الاصطلاح:

وعند تتبُّعي بعضَ كتبِ الأشباه والنَّظائر لم أعثر على المفهومِ الاصطلاحي لهذا العلم، فغلب مصطلحُ «الوجوه والنظائر» على المؤلَّفات التي كُتبت في هذا العلم إلَّا ما قد وقفت في أول كتاب فيه؛ كتاب مقاتل بن سليمان البلخيّ (ت:١٥٠)[٣] فمصطلح الوجوه عنده يعني: المعاني المختلفة للَّفظةِ القرآنيَّة في مواضعِها من القرآن. والنَّظائر: المواضع القرآنيَّة المتعدِّدة للوجه الواحد التي اتَّفق فيها معنى اللفظ، فيكون معنى اللفظ في هذه الآية نظيرٌ (أي: شبيهٌ ومثيلٌ) معنى اللفظ في الآية الأخرى، والله أعلم.

ولنسوق مثالًا لذلكَ حتَّى يتبيّنَ منهُ مراده بالوجوه والنَّظائرِ:

يقول في تفسير «الحسنى» على ثلاثةِ وجوه:

فوجهٌ منها: الحسنى؛ يعني: الجنَّة، وذلك في قولهِ تعالى في سورة يونس:

(١) تأويل مشكل القرآن:٤٨٤.

(٢) ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ١٣٧،١٣٦.

(٣) مقاتل بن سليمان بن بشير: أبو الحسن البلخيّ المفسُرِّ، وهو مجروح في روايته، غير أنَّه كان أوعية العلم، بحراً في التفسير، قال الشافعي: «الناس كلهم عيال على ثلاثة: مقاتل بن سليمان في التفسير... «له كتاب في التفسير، توفي سنة ١٥٠) ينظر: معجم المفسرين: ٢/ ٢٨٢-٣٨٦، وطبقات المفسِّرين للداودي: ٢/ ٣٣٠.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[١]، يعني: الذين وحّدوا لهم الحسنى؛ يعني: الجنَّة (وزيادة) يعني: النظر إلى وجه الله[٢].

ونظيرُها في النَّجمِ، إذ يقول تعالى: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[٣]؛ يعني بالجنَّة، وكقوله في سورة الرحمن: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[٤]، يقول مقاتل: هل جزاءُ أهل التوحيد إلّا الجنَّة.

الوجهُ الثاني: الحسنى؛ أي: البنون، فذلك قول الله تعالى في النّحل: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾[٥]؛ أي: البنون.

والوجهُ الثالث: الحسنى؛ يعني: الخيرَ، فذلك قولُهُ في سورة التوبة: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾[٦]، يقول: ما أردنا ببناء المسجد إلاَّ الخيرَ[٧].

ونظيرها في النساء: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾[٨]؛ يعني الخير[٩].

وقفة متأمّلة مع هذه الوجوه:

١-أنّ مقاتل بن سليمان جعل لفظ «الحسنى» في القرآن على ثلاثةِ وجوه: (الجنَّة، والبنون، والخير)، ولهذه الوجوه معانٍ مختلفة لهذه اللفظة.

---

(١) سورة يونس: ٢٦.

(٢) هذا في معتقد السّنّة أما نحنُ الشيعة فعقيدتنا أنّ الله سبحانه لايرى بالعين فهو ليس كمثله شيء.

(٣) سورة النجم: ٣١.

(٤) سورة الرحمن: ٦٠.

(٥) سورة النحل: ٦٢.

(٦) سورة التوبة: ١٠٧.

(٧) إشارة إلى أول الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(٨) سورة النساء: ٦٢.

(٩) ضمن آيات المنافقين التي مطلعها: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾. ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: ١١.

٢- أنّه يكفي في الوجوه اتفاقها في المادَّة، وإن لم تتَّفق في صورة اللفظ؛ كالحسنى والإحسان.

٣- أنّه في الوجه الأول فسَّر «الحسنى» في آية يونس بأنَّها الجنَّة، ثمّ جعل الحسنى في آية سورة النجم نظيرةً لآية سورة يونس.

وفسَّر الحسنى في آية سورة براءة بأنَّها الخير، ثم جعل الحسنى في آية سورة النساء نظيرةً لها، فهما موضعان مختلفان من القرآن، لكنَّهما اتفقا في مدلول اللفظة، وهذا يعني أنَّ تشابه المدلول في الآيتين هو النظائر.

٤- أنّه لم يذكر في الوجه الثاني نظيراً للآية، وهذا يعني أنّه لا يلزم أن يكون في كلّ وجهٍ من الوجوه نظائر من الآيات.

هذه بعض الوقفات أراها جديرة بالوقوف عند هذه الوجوه والنظائر.

المحور الثّاني: علاقةُ الأشباه والنَّظائر بالتَّفسير اللّغويّ

يتمظهرُ من كُتبِ هذا العلم أنَّ البحث فيه يتعلَّق بالنصّ القرآنيّ مباشرةً؛ إذ يستنبط المفسِّر معاني الأشباه والنظائر من الآيات مباشرةً، ويقتنصُها منَ السّياقِ القرآنيّ الذي وردت فيه اللفظةُ؛ لذا كثُرت عندهم الوجوه في بعض الألفاظِ بسبب النظر إلى الاستعمالِ السياقيِّ من دون الاقتصار على أصل المدلول اللغوي.

وعند بحث علاقةِ الأشباه والنظائر القرآنيَّة باللغة، فإنَّ الأمر فيه جانبان مرتبطان باللغة:

الأوَّل: الأصلُ الجامع لمعنى اللفظ في لغة العرب، ومعرفةُ علاقة هذه الوجوه بهذا الأصل.

الثاني: أنّ بعضَ هذه الوجوه تُكوِّن دلالاتٍ لغويّةً مباشرةً، وقد تتعدَّدُ الوجوه

بتعدُّد هذه الدلالات، والنظر في ذلك يرجع إلى استعمال العرب على وفق ما قرّرهُ أهلُ اللّغة.

وإذا وُجد في كتبهم شيء من الوجوه لا يوجد له دلالةٌ مباشرةٌ في كتب أهل اللغة، فإنّ هذا لا يعنى خروجَه عن اللغة، ولكن يُلحظ أنَّه لا بدَّ من وجود ارتباطٍ بينه وبين أصل المعنى اللغوي.

وسأذكر مثالاً يوضِّح ذلك:

قال مقاتلُ في تفسير «الطاغوت» أنَّهُ على ثلاثةِ وجوهٍ:

الوجهُ الأوَّلُ: يعني به: الشيطان، فذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾(١)، نظيرها في النساء؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾(٢)؛ يعني: في طاعة الشيطان، ونظيرها أيضًا في المائدة، فيقول تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾(٣)، يعني: الشيطان.

الوجهُ الثاني: يعني: الأوثان التي تُعبد من دون الله تعالى، فذلك قوله عزَّ وجلَّ في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٤)؛ يعني: اجتنبوا عبادة الأوثان، ونظيرها في الزّمر، فيقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٥)؛ يعني: الذين اجتنبوا عبادة الأوثان وأنابوا إلى ربّهم.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة النساء: ٧٦.

(٣) سورة المائدة: ٦٠.

(٤) سورة النحل: ٣٦.

(٥) سورة الزمر: ١٧.

الوجه الثالث: يعني: كعبَ بنَ الأشرفِ اليهودي، فذلك قوله في سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾[١]؛ يعني كعب ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، ونظيرها في النساء قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾[٢]؛ يعني: اليهود، ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾؛ يعني كعب بن الأشرف[٣].

وقفة متأمّلة مع هذه الوجوه:

إذا نظرنا إلى هذه التفسيرات التي ذكرها للفظ «الطاغوت» وجدناها تفاسيرَ على المعنى، نظر فيها إلى سياقاتِ الآياتِ ففسَّر بها، ولم يُعرِّج على أصل اللفظ ومعناه في اللغة.

والطاغوتُ مأخوذٌ من مادة «طغى» وهذه المادَّةُ لها أصلٌ واحد، وهو مجاوزة الحدِّ، فكلُّ شيء تجاوز به المرءُ الحدَّ، فقد طغى به، قال الراغب الأصفهانيُّ: «الطاغوت: عبارة عن كلِّ معتدٍ، وكلِّ معبودٍ من دون الله»[٤].

وإذا تأمَّلتَ هذه الوجوهَ الثلاثةَ التي ذكرها مقاتل وجدتها ترجعُ إلى هذا المعنى الذي ذكره الراغب.

وهذه الأمثلة وغيرُها تُبيِّنُ أنَّ كُتبَ الأشباهِ والنَّظائرِ تَنُصُّ على المعنى اللّغويِّ إذا كان مرادًا في الآية، كما تُكثِر من ذكر المعنى الاستعمالي (أي: المناسبُ للسِّياق)، ولا يكون فيه – في الغالب– خروجٌ عن المعنى اللغوي، كما ظهر في التمثيل السابق.

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٢) سورة النساء: ٥١.

(٣) ينظر: الأشباه والنظائر:١١٥-١١٦، وهو بنصه في الوجوه والنظائر لهارون الأعور:٩٦.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٢٠.

المحور الثالث: الأشباهُ والنَّظائرُ القرآنيَّة عند أهلِ البيتِ عليهم السلام

فمن الصعب بمكانٍ حقيقةُ حصرِ الأشباهِ والنَّظائرِ منَ الآيات القرآنيَّة في هذه العجالة وفي هذه الأسطر؛ إلَّا أنَّ البحث سيختار نماذج منها علَّها تُقدِّم شيئًا وجيزًا ممَّا يمسُّ هذا الجانب، ومنَ الأمثلةِ لذلكَ:

منها: قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾(١)، قالَ الإمامُ الصَّادقُ عليه السلام في معنى «الفتنة»: أنَّ أصلَها الامتحانُ، ثم تُستَعمل في أشياء على وجوهٍ:

الوجه الأول: الفتنة بمعنى: الكفر والشرك: وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾(٢)، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(٣).

الوجه الثاني: الفتنة بمعنى: العذاب، نحو قوله تعالى: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾(٤)، ونظير هذه الآية قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾(٥)؛ يعني عذابكم بالتحريق بالنّار.

الوجه الثالث: الفتنة بمعنى: المعذرة، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾(٦)؛ أي معذرتهم.

الوجه الرابع: الفتنة بمعنى: القتل، في نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ

---

(١) سورة الأنفال:٧٣.

(٢) سورة البقرة: ٢١.

(٣) سورة البقرة:١٩٣.

(٤) سورة العنكبوت:١٠.

(٥) سورة الذاريات:١٤.

(٦) سورة الأنعام: ٢٣.

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١)؛ أي يقتلكم، ونظيرها قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُم﴾(٢).

الوجه الخامس: الفتنة بمعنى: الهرج والابتلاء على أثرِ البلاء، في نحو قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾(٣)، وهذه التفاصيل كلُّها مأخوذةٌ من قولِ الصَّادقِ عليه السلام(٤).

تحليل هذه الأمثلة:

١. أنَّ الإمامَ الصَّادق عليه السلام جعلَ لفظ «الفتنة» في القرآنِ على خمسةِ وجوهٍ: (الكفر والشرك، والعذاب، والمعذرة، والقتل، والهرج والابتلاء) وهذه الوجوه معانٍ مختلفة لهذه اللفظة.

٢. وأنَّه في الوجه الأوَّل فسَّر «الفتنة» في آية سورة البقرة بأنَّها الكفر والشرك، ثمَّ جعل «الفتنة» في نفس السورة وفي آية أخرى نظيرة لها، وفسَّر «الفتنة في آية سورة العنكبوت بأنَّها العذاب، وجعلها في آية سورة الذاريات نظيرة لها، وكما فسَّر «الفتنة» في آية سورة النساء بأنَّها القتل، فجعل «الفتنة» في آية سورة يونس نظيرة لها، وهذا يعني أنَّ تماثل المدلول في الآيات هو النظائر.

٣. وأنَّه لم يذكر في الوجه الثالث والخامس نظيرًا للآية، وهذا يعني أنَّه لا يلزم أن يكون في كلِّ وجهٍ من الوجوه نظائر من الآيات.

ومن هذا المنطلق يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٥)،

(١) سورة النساء: ١٠١.

(٢) سورة يونس: ٨٣.

(٣) سورة العنكبوت: ٢، ٣.

(٤) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٦٧.

(٥) سورة الفاتحة: ٤.

وتُفسَّر «العبادة» في هذه الآية الكريمة على ضوء ما يمكن فهمه من قول الإمام الحسين عليه السلام: «الناس عبيد الدنيا، والدِّين لعقٌ على ألسنتهم؛ يحوطونه ما درَّت معايشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلَّ الدَّيَّانون» على ثلاثة وجوه:

الأوَّل: الطَّاعةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[(١)]، فإنَّ عبادة الشيطان المنهي عنها في الآية المباركة هي إطاعته.

الثَّاني: الخضوعُ والتّذلّل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[(٢)]؛ أي: خاضعون متذلِّلون.

الثّالث: التَّألُّه، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[(٣)].

وإلى المعنى الأخير يُصرَفُ هذا اللفظ في العرف العام إذا أُطلِق من دون قرينة[(٤)].

وقد يُلحظ من خلال تتبُّع هذه الآيات الحديث عن التنوُّع في المعاني، إنّها تنطلقُ من معنًى واحدٍ، وهو الخضوع المطلق الذي يختزن في داخله معنى الاستسلام للمعبود والذوبان فيه والخضوع أمامه، حتَّى لَيحتوي في حالته الشعوريَّة الإحساس بشيء من الألوهيَّة، أو بالألوهيَّة كلِّها في ذات المعبود، فليست العبادة هي الخضوع، ولا الطاعة، ولا التألُّه؛ ولكنها المعنى الذي يشمل ذلك كلَّه في خصوصيَّة مميَّزة.

---

(١) سورة يس: ٦٠.

(٢) سورة المؤمنون: ٤٧.

(٣) سورة الرّعد، الآية: ٣٦.

(٤) تفسير وحي القرآن: ٥٥-٥٦.

ومن الأشباه والنظائر قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾[١]، ذكر فيه وجوهًا:

الوجهُ الأوّل: ما ذكره الحسن بن علي عليه السلام أنَّ معنى: الحرج: الضيق؛ فمعناه: ولا يضيقنَّ صدرك لِتشعُّبِ الفكر؛ خوفًا من ألَّا تقوم بتبليغ ما أُنزلَ إليك حقّ القيام، فليس عليك أكثر من الإنذار، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢]؛ أي ضيق.

الوجه الثاني: إنَّ معنى الحرج: الشكُّ، فمعناه: فلا يكن في صدرك شكٌّ فيما يلزمك من القيام بحقِّه، فإنَّما أُنزِل إليك لتنذر به[٣].

ومن الأشباه والنظائر تفسير «اللَّبس» على أربعة وجوه:

فالوجه الأوَّل: يلبسون؛ يعني يخلِطون، فذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾[٤]؛ يعني: لا تخلِطوا، ونظيرها في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾[٥]؛ يعني: لِمَ تخلِطون، كقوله جلَّ وعلا في سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[٦]؛ يعني: لم يخلطوا الإيمان بالشرك.

الوجهُ الثاني: اللِّباس، يعني: سكنٌ، فذلك في قوله تعالى في سورة البقرة:

---

(١) سورة الأعراف: ٢.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٦١.

(٤) سورة البقرة: ٤٢.

(٥) سورة آل عمران: ٧١.

(٦) سورة الأنعام: ٨٢.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ [١]، يقول: نساؤكم سكنٌ لكم، ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾؛ يعني سكنٌ لهنَّ؛ كقوله في سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[٢]؛ يعني سكناً، ونظيرها في سورة النبأ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[٣]؛ يعني سكناً.

الوجهُ الثالث: اللِّباسُ؛ يعني: الثّياب التي تُلبس، فذلك قوله تعالى في الأعراف: ﴿لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾[٤]؛ يعني الثياب، وقال في سورة الدّخان: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[٥]؛ يعني: الثياب.

الوجهُ الرابع: يعني: العمل الصالح، كما في قولِهِ تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾[٦]، يعني: العمل الصالح[٧].

وقفة متأمّلة مع هذه الأمثلة:

١. أصل مادَّة «لبس» يدلُّ على مخالطةٍ ومداخلةٍ، كما قال ابن فارس، والوجه الأوَّل من الوجوه التي ذكرها مقاتل جاء على أصل مادَّة اللفظ.

٢. غلب إطلاقُ لفظِ «اللباس» على الثياب الملبوسة، فصار شيوع هذا المعنى أشبه بأن يكون أصل المادَّة[٨]، وإن كان في حقيقته يعود إلى معنى المخالطة والمداخلة، وعلى هذا المعنى المشهور جاء تفسير الوجه الثالث من الوجوه التي ذكرها مقاتل.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة الفرقان: ٤٧.

(٣) سورة النبإ: ١٠.

(٤) سورة الأعراف: ٢٦.

(٥) سورة الدخان: ٥٣.

(٦) سورة الأعراف: ٢٦.

(٧) ينظر: الأشباه والنظائر لمقاتل:١٠٥.

(٨) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٢٣٠، مادة (لبس).

٣. أمّا الوجه الثاني والرابع، فإنّه نحا به إلى التّفسير على المعنى، ولم يبيّن مدلولَ اللفظ المباشر، وإن كان يعود إلى أصل المادة الدال على الاختلاط، وهو ألصق بالمدلول المشهور في المادَّة، وهو اللباس.

فقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[١]، فيه تشبيه للزوجَيْنْ باللباس؛ لشدَة مخالطتهما فيما بينهما، كما قال الشاعر[٢]:

إذا ما الضجيعُ ثنى جيدَها
تداعتْ فكانت عليه لباسًا

وتفسيره اللِّباس في هذه الآية بأنَّه السَّكن؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من الزوجَيْن يسكن إلى صاحبه؛ كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾[٤]، فكأنَّه نظر إلى هذه الآية ففسَّر اللِّباس بالسَّكن، وهو تفسيرٌ لا يخرُج عن معنى المخالطة؛ لأنَّ الساكن مخالط لمسكنه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[٥]، ونظيره من سورة النبأ، وهو من باب تشبيه الليل باللِّباس الذي يستُر الإنسان؛ أي إنَّ اللباس كما يستُر جسمَ الإنسان، فكذلك الليل يسترُ الإنسان.

وتفسيره اللِّباس في هاتين الآيتَيْن بأنَّه «السَّكن» كأنَّ فيه إشارةً إلى تفسيرِها بما

(١) سورة البقرة: ١٨٧.
(٢) البيت للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه:٨١.
(٣) سورة الأعراف: ١٨٩.
(٤) سورة الروم: ٢١.
(٥) سورة الفرقان: ٤٧.

ورد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[2]، وغيرها من الآيات الدّالَّة على هذا المعنى الذي لا يخرج – أيضًا – عن معنى المخالطة؛ لأنَّ اللَّيل يختلط بالإنسان ويغطيه، فيكون له كاللِّباس الذي يلبسُه.

وأمَّا تفسيرُه قولَه تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾[3]، بأنَّه العملُ الصالحُ، فهو تفسير على المعنى؛ لأنَّ المراد بلباس التقوى استشعارُ النفس تقوى الله عزَّ وجلَّ، في الانتهاء عمَّا نهى الله جلَّ وعلا عنه، وإتيان ما أمر الله تعالى به، وذلك يجمعُ الإيمانَ والعملَ الصالح[4]، فتلبُّسُه بهذا يدل على المخالطة منه لهذه الأمور، حتَّى كأنَّها عليه كاللِّباس الذي يلبسُه، فكما يظهرُ أثرُ لباسه عليه، يظهرُ عليه أثرُ التقوى بعمل الطاعاتِ واجتناب المنهيَّات، وما يلحق ذلك من حُسن السَّمت والحياء وغيرها من أخلاق الإيمان.

هذا، وترجع كلُّ هذه التحليلات إلى أهل البيت عليهم السلام، فلا مجال هنا لسرد كلِّ النماذج القرآنيَّة التي تمسُّ هذا الجانب بصلة، فالله تعالى أسأل أن يوفِّقنا إلى ما يحبُّ ويرضى إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

---

(١) سورة يونس: ٦٧.

(٢) سورة النمل: ٨٦.

(٣) سورة الأعراف: ٢٦.

(٤) يُنظر: تفسير الطبري: ١٢/ ٣٧١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وبعد:

فإنَّ الدِّراسةَ تناولت بكلِّ إيجازٍ مفهوم الأشباه والنَّظائر لغةً واصطلاحًا، وعلاقة الأشباه والنظائر بالتفسير اللغوي، ثمَّ تحليل هذه الوجوه، والوقوف على المفردات القرآنيَّة التي تمسُّ جوانب الأشباه والنَّظائر ولا سيَّما عند أهل البيت عليهم السلام، ومن خلال هذا العرض الوجيز توصَّلت الدِّراسةُ إلى جملةٍ من النتائج كان من أهمِّها:

٤ . أنّ استعمال الأشباه والنَّظائر لم يكن محصورًا عند اللغويِّين فقط بل شاركهم في ذلك علماء التفسير ممَّن عُني بالتفسير وعلومه.

٥ . استطاع أهل البيت عليهم السلام توظيف الأشباه والنَّظائر في الآيات القرآنيَّة في كثير من المواضع.

٦ . استعراض أهل البيت عليهم السلام للأشباه والنَّظائر يكاد يتميَّزُ عمَّا كان عند اللغويِّين.

وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكَّلت وإليه أنيب.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

١. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، الزّبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكونة، الكويت، ١٩٦٥م.

٣. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، الطيار مساعد بن سليمان بن ناصر، طبعة دار ابن الجوزي.

٥. تفسير وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله (قدس سره)، طبعة دار الملاك، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، نشر مكتبة المعارف، ط٢.

٧. ديوان النابغة الجعدي، النابغة الجعدي، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ط١، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

٨. طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. القراءات وعلل النحويين فيها، الأزهري، تحقيق: نوال بنت إبراهيم الحلوة، ط١، ١٤١٢هـ.

١٠. لسان العرب، محمد بن منظور، طبعة دار المعارف، القاهرة.

١١. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، طبعة دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٢. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية.

١٣. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٩٩٤م.

١٤. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، نشر دار العلم، ط١، ١٤١٢هـ.

١٥. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر دار الكتب العلمية، إيران.